جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

دراسات أولية : المرحلة الثالثة

المادة : أدب أندلسي

عنوان المحاضرة : (مميزات الشعر الأندلسي)

استاذ المادة: أ. د فائزة رضا شاهين

١٤٤٥هـ **٢٠٢٤م**

مميزات الشعر الأندلسي :

١ - القوافي والأوزان :

يتعلّقون بالقشور ويستندون إلى المظاهر. عجيب أمر هؤلاء النقاد الواهمين حين ! وأعجب العجب أن يتحكموا في القوافي والأوزان، فيحاولون أن يقصروها على فريق من الشعراء دون فريق، ولو كان الأمر أمرهم لوقف الشعر العربي عند العصر الجاهلي، لأن الشعراء الجاهليين قد استنفدوا الأوزان والقوافي فلا يصح لشاعر أن ينظم بعدهم. فهم يقولون أن كثيراً من قصائد الأندلسيين قد صيغ على نمط القصائد المشرقية. ويقصدون بالنمط التقليدي لكلّ شيء في القصيدة حتى لو كان الغرض مختلفاً، والمعاني ،متباينة، فهم يكتفون بالنظرة العجلى التي تقع على والروي، ليحكموا على كل عناصر القصيدة بالتقليد.هذه المشابهات ولو أننا قبلنا دواوين الشعراء منذ وجد الشعر لوجدنا الكثير من في الوزن والروي، إما عن غير قصد فتكون عفوا ومن حق الشاعر، أو عن قصد فتكون معارضة ومنافسة يعتد بها الشاعر ويفخر، لا محاكاة أو تقليداً. والحق أن الشعر لا يقاس بالوزن ولا بالروي. فإن البحور والقوافي ملك الشعراء جميعاً، وإنما الشأن للصياغة والمعنى والشعور. ولو كان الأندلسيون جامدين على التقليد واقفين عند حدوده، لما أحدثوا هذا الحدث الجديد في الأوزان الشعرية، فقد عاشت . الأندلس في ترف أحدث عندها بشعر الطبيعة، كما أحدث عندها نهضة واسعة في الغناء، نشأت مع رحيل اهتمامأزرياب » وغيره من امثال فضل وعلقم وقلم وقمر والعجفاء » . فشاع الغناء وشاعت الموسيقى، وكثر المغنون والمغنيات فأحدث ذلك في الشعر تلك الموشحات والأزجال، لأن أوزانها أحفل بالتلحين من الأوراد المعروفة، وبذلك استطاعوا أن يتجاوبوا مع بيئتهم، وما كان فيها من ترف ولذة ونعيم. وهكذا كانت عنايتهم بالألحان واختراع الأوزان المناسبة لها، بما أوتوه من التي جعلت شعرهم كما يقول لطف ذوق ورهافة حس، وهذه الألحان هي الرافعي » - كأنه نفوس تقطر أو تسيل (١).

٢- المعاني:

يجد معاني الأندلسي واضحة جلية بعيدة عن تعمق الفلاسفة وتدقيق الحكماء، لقلة المشتغلين منهم بالفلسفة واضطهاد علومها في الأندلس، وبعض العامة لها، وكثيراً ما كان الشاعر الأندلسي يطرق المعاني المعروفة، ولكنه بما يولد، ويركب ويغرب ويبدع في الصناعة يخيل للمناظر أنه أتى بالجديد المبتكر، وإنما المبتكر التوليد والخيال والمعاني الجزئية، وهذا كان سمة لـ ابن هانئ ، وإن يكن له أحياناً من المعاني الجديدة ما يسلكه في عداد الشعراء المبتكرين المحددين، مثل قوله:

قمن في مأتم على العشاق ولبسن السواد في الأحداق

وبكين الدماء بالعنم الرطـ ـــب المقني وبالحدود الرقاق

ومنحن الفراق رقة شكوا هن حتى عشقت يوم الفراق

ومن المعاني الطريقة التي كان يلمها الشاعر الأندلسي أحياناً قول ابن برد » في وصف انبلاج الصبح مع ما حلاه به من غريب التشبيه المبتكر :

وكأن الليل حين لوى ذاهباً والصبح قد لاحا

كتلة سوداء أحرقها عامد أسرجها صباحا

يعب النقاد على الأندلسين تناولهم معاني السابقين من الشعراء، ونحن نعلم أن النقاد على الأندلسيين تناولهم معاني امرأ القيس » كان يبكي الديار كما بكى ابن خدام ، وأن زهيراً كان يرى أن الشعراء لا يقولون إلا المعار، وأن عنترة » كان يعترف بأن الشعراء لم بالجديد ولا بالغريب، وقد ليس نشا عن أمر نجده في كتب النقد العربي، ونجد أن صاحب الصناعتين يقول: يغادروا من متردم، فتداول المعاني إذا بين الشعراء أ هذا التداول ذلك البحث الواسع الذي النقاد يحسون بأن هذا الجانب ضروري في الشعر حتى ليس لأحد

من أصناف القائلين غنى عن تداول المعاني تمن تقدمهم، والصب على قوالبهم. ويقول الجاحظ » : « نظرنا في الشعر القديم والحديث فوجدنا المعاني تقلب ويؤخذ بعضها من بعض » « ولا يعلم في الأرض شاعر متقدم في تشبيه مصيب، أو معنى غريب إلا وكل من جاء من الشعراء من بعده إن هو لم يقدر على الفظه فيسرقه أو يدعيه فإنه لا بدع أن يستعين بالمعنى » وعلى هذا تداول الشعراء المعاني من قديم الزمان. عرض أننا هناك نوع آخر مما اتسم به بعض الشعراء كان السمة للمعاني الأندلسية، هو المعنى في ثوب جديد والتأنق في رسمه وتلوينه حتى ننسى أصله ونحسبه معنى جديداً، وإحساساً طريفاً. فهم يأخذونه بالتحوير أو النقص أو الزيادة أو الشرح، حتى نحس بشخصيتهم فيه واضحةً جليةً، وتعترف لهم بالتجديد في هذا التصرف. يقول « امرؤ القيس :

سموت إليها بعد ما نام أهلها سمو حباب الماء حالاً على حال

فيقصر عنه » ابن أبي ربيعة » ولا يسمو هذا السمو، حيث يقول:

ونفضت عني النوم أقبلت مشية الـ حباب وركني خيفة القوم أزور

ومن مظاهر التحرر لشعر الطبيعة في الأندلس الفتنة بالبحر والتفنن في أوصاف المياه، كما أن السرعة القصصية التي امتازتها الأندلس في الأدب تظهر بوضوح في محمد شعر الطبيعة ومن ذلك صورة السفر حلة » في شعر جعفر بن المصحفى ، فهذه الصورة عبارة عن تاريخ حياة السفرجلة من كانت تحتال على ولون محب. شجرتها بألوانها وريحها وروحها إلى أن ذلك في كف الشاعر، يقول:

ومصفرة تحتال في ثوب نرجس وتعيق عن مسك ذكي التنفس

لها ريح محبوب وقوة قلبه ولون محب حلة السقم مكتسى

فلما استلمت في القضيب شبابها وحاكت لها الأوراق أثواب سندس

مددت يدي باللطف أبغي اجتناءها لأجعلها ريحاني وسط محلي

فبزت يدي غصباً لها ثوب جسمها وأعريتها باللطف من كل ملبس

ذكرت بها من لا أبوح بذكره فأذيلها في الكف حر التنفس

٣- الألفاظ والأساليب /

من حيث الألفاظ والأساليب، فقد تميز الشعر الأندلسي بسهولة اللفظ وسلامة في التراكيب وما ذلك سوى أثر لسهولة طباعهم ولين أخلاقهم ورقة الطبيعة الأندلسية، وجمالها الفاتن وافقها العاطر الشفّاف، وإرسالهم القول من غير تكلف أو تصنع ودون تحميل الألفاظ ما لا تطيق من المعاني المزدحمة، حتى جاء شعرهم جارياً مع الطبع، متساوقاً مع الفطرة، فضلاً عن أنهم لم يبالغوا في الأخذ يفنون البديع من ثورية وجناس وطباق وغيرها، وما كان يقع لهم من ذلك في عباراتهم كان أكثره جميلاً مقبولاً، لأن الشعراء كانوا لا يأخذون البديعية إلا ما كانت تجود به قرائحهم من غير تعمل ولا اجهاد خاطر.

وإن كان ابن هانئ الاندلسي يكاد وحده يتميز بطابع البداوة في الفاظه وأساليه، فقد أحيا القعقعة البدوية في شعره، وتناول من الألفاظ الغريب الممعن في البداوة من مثل شيظم ، وما شاله .

٤- الخيال :

الذي نماه في ملكات الشعراء غلب على الشعر الأندلسي الخيال البديع " ضروب الجمال المنتشرة في شبه جزيرتهم، وساعدهم ذلك على أن يجودوا التشبيه ويكثروا من استعمال المحار والكنى في شعرهم ولا بدع فقد كانت الأندلس مساءة الخيال ومسرحه، بما ركب

الله في طبيعتها من فنون السحر والجمال، لذلك أتى شعراء الأندلس منه بالعجب العجاب في أشعارهم، فلسهم التشبيهات البديعية والتوليدات العجيبة، والأخيلة الرائعة. ومن روائع التشبيهات قول « حمدة بنت زياد :

ولما أبي الواشون إلا فراقنا وليس لهم عندي وعندك من ثار

وشنوا على أسماعنا كل غارة وقل حماتي عند ذاك وأنصاري

غزوتهم من مقلتيك وأدمعي ومن نفسي بالسيف والسيل والنار